السياحة الثقافية بالمغرب الواقع والمأمول

–تافراوت الأطلس الصغير نموذجا–

الباحث هاشم علوي طيبي
طالب باحث بسلك الدكتوراه
الكلية المتعددة التخصصات بالرشيدية، جامعة مولاي اسماعيل
المغرب

ملخص:

يعتبر التراث الثقافي المادي واللامادي بمختلف عناصره رأسمالا تنمويا بامتياز، نظرا لمساهمته الكبيرة في تنمية الاقتصاد الوطني وبمنطقة تافراوت بالتحديد التي تعرف تنوعا فريدا في تراثها الثقافي، لهذا يمكن استثماره وتوظيفه في العديد من المجالات سواء الاقتصادية أو الاجتماعية، خاصة ما يرتبط بالاقتصاد الثقافي والسياحي الذي هو بمثابة المستهلك الرئيسي لعناصر الرأسمال اللامادي، لهذا فالمغرب يعد من أهم الدول التي تولي اهتماما كبيرا بالقطاع السياحي خاصة السياحة الثقافية المرتبطة بتاريخ المغرب العريق وثقافته الشعبية الغنية وهذا بصياغة سياسات ثقافية متنوعة من أجل تثمين التراث الثقافي للمنطقة ليساهم في التنمية المستدامة.

الكلمات المفاتيح: تافراوت. الثقافة، التراث الثقافي، التثمين، السياحة، السياحة الثقافية، السياسة الثقافية.

مقدمة

يعد التراث الثقافي المادي واللامادي جزء هاما من الذاكرة الوطنية والإنسانية، ينبغي لكل المهتمين بالشأن الثقافي والسياحي في كل بلد الاهتمام به وتوثيقه وتثمينه وحمايته من الاهمال و الضياع والنسيان، لاسيما أنه تراث روحي أو معنوي ويوصف التراث الثقافي غير المادي بأنه "وعاء ذوبان للتعبير الإبداعي وقوة دافعة للثقافات الحية".[1] وتعد سوس خزان لتراث ثقافي يتميز بالتنوع وبالطابع الأمازيغي الأصيل وتعد منطقة تافروات من أهم اماكن التنوع الثقافي من حيث تواجد كم كبير من عناصر التراث الثقافي بمختلف أشكاله المادية واللامادية.

وتعتبر السياحة الثقافية على أنها المقوم الأساسي والقابل للمنافسة للقطاع السياحي نظرا للاعتماد على التراث الثقافي بشقيه المادي واللامادي، لهذا نجد اهتمام كبير في المغرب بالتراث الثقافي اللامادي انطلاقا من خطاب جلالة الملك بمناسبة عيد العرش[2] للموضوع، ودعوته المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي الى القيام بدراسة لقياس الثروة الاجمالية الحقيقية للمغرب، حتى انطلقت التحليلات والمناقشات حول مفهوم الرأسمال المادي واللامادي غير المادي وعلاقته بالثروة والتنمية الاقتصادية.

منذ ذلك الحين تظافرت جهود جميع الفاعلين للحفاظ على هذا الموروث وتثمينه وصياغة سياسات عمومية ثقافية تسعى لحماية وتثمين الرأسمال اللامادي بالمغرب وجعله في صدارة القطاع السياحي الذي أضحت له مكانة هامة واهتمام واضح في السياسات العمومية للدولة لأنه يعد موردا اقتصاديا مهما يساهم في جلب العملة الصعبة للدول.

لمعالجة هذا سنحاول الوقوف على بعض المفاهيم الأساسية، ومعرفة مقومات التراث الثقافي المادي واللامادي لتافراوت وعلاقته بتنمية السياحة الثقافية من خلال التثمين الفعال لعناصر التراث الثقافي اللامادي وصياغة سياسات عمومية تساهم في ذلك.

مشكلة الدراسة:

افاق السياحة الثقافية وكيفية تسخير التراث الثقافي لانعاش القطاع السياحي وتحقيق التنمية المستدامة بالمغرب وبالتحديد منطقة تافراوت؟

منهجية الدراسة: تم الاعتماد في هذا المقال على مجموعة من المراجع الخطب الملكية والقوانين والكتب والمقالات والتقارير والدلائل إضافة إلى مجموعة من الاحصائيات والوثائق ...

مفاهيم الدراسة:

مفهوم الثقافة: يعتبر مفهوم الثقافة من المفاهيم التي يلفها الكثير من الغموض والجدل وهذا راجع الى التطور الكبير الذي طرأ عليها من حيث الجانب اللغوي والفكري .مما يستدعي ضرورة تتبع الأصول والدلالات اللغوية والاصطلاحية، لأن هناك تشابك وتداخل بين كلمة ثقافة وحضارة التي كان ظهورها في نفس الفترة التي ظهرت فيها كلمة ثقافة، ويمكن القول أن الثقافة تعني وتضم كل الانتاجات البشرية من وسائل الانتاج البدائية إلى الآدب والفن والميثولوجيا والدين والأخلاق وجميع مظاهر الحياة الاجتماعية من لباس وسكن وشراب وآداب المائدة وغير هذا من المظاهر المادية، إلى جانب الطقوس ومظاهر التعبير والتواصل الإنساني، وبذلك تتضمن الثقافة برأي معظم علماء الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع (مالينوفسكي، تايلور، سبنسر، كروبر...) العناصر اللامادية كالمعرفة والفن والأخلاق والقانون والعادات والأفكار واللغة [3]والتقاليد....

مفهوم التراث الثقافي:

يعد التراث الثقافي في مضمونه هو نسيج من الرموز والدلالات والإيحاءات التي لا يمكن فهمها علميا إلا من خلال دراسة الوحدات الرمزية المؤلفة لهذا النسيج في ارتباطه بالمحيط الذي أنتجها، ولا شك أن كل مجتمع له ثقافته الخاصة التي تميزه عن غيره من المجتمعات، كما يتميز بخصائص معينة تحدد شخصية الفرد وتصوغ سلوكه مع غيره من الأفراد الذين يكونون في مجموعهم المجتمع الكبير[4]، ويعني ذلك أن التراث الثقافي هو كل ما أنتجه الإنسان بيده أو فكره أو البقايا التي خلفها إضافة إلى بقايا السلالات البشرية والحيوانية والنباتية والآثار العقارية والفنون الابداعية والمقتنيات الشعبية وأشكال النسيج الثقافي الذي يعبر عن هوية المجتمع في بعدها الفني كالأهازيج والرقص والغناء الشعبي، وبعدها النقدي والتشخيصي لأحواله ومآله، كالنكث والأحاجي والحكايات والمأثورات الشعبية[5]. الى جانب المناظر الطبيعية التي تعد تراثا ثقافيا بامتياز.

مفهوم السياحة:

تعد السياحة ظاهرة عصرية ارتبطت بوجود وقت فراغ وتوفر إمكانيات مادية وتطور وسائل النقل والاتصال

وإمكانيات الاستقبال، وهي تستجيب لحاجة الفرد والجماعة في الحصول على الراحة والترفيه، من خلال تغيير الجو والاستمتاع بجمال الطبيعة والاتصال بأفراد وجماعات من مناطق وشعوب مختلفة بكل ما يترتب عن ذلك من متعة ومنفعة وتضييق المسافات بين الشعوب. ويتحقق الفعل السياحي بالانتقال المؤقت للأفراد والجماعات إلى مناطق خارج أماكن إقامتهم الأصلية وخارج بيئتهم المعتادة (البيئة التي يزورها الإنسان بصورة متكررة حتى وإن بعدت عن مكان إقامته)، سواء كانت داخل الوطن أو خارجه، على ألا تتعدى مدة التنقل سنة واحدة بشكل متواصل وتزيد عن مدة النزهة المقدرة بـ 42 ساعة، وألا يكون الهدف من وراء ذلك تحقيق ربح. ويترتب عن السياحة إيجاد جملة من النشاطات التي تساهم في توفير عرض المنتوج السياحي.[6]

وتعددت أنواع السياحة بتعدد المجالات والأماكن إلى سياحة دينية وثقافية وتراثية وسياحة رياضية، وسياحة علاجية والمغرب يعرف تنوعا فريدا من حيث السياحة لما يوليه من اهتمام كبير بهذا القطاع.

مفهوم السياحة الثقافية: نجد أن المفهوم خضع إلى تطور مضطرد حيث ظهر بتسميات عديدة، وهي حسب المنظمة العالمية للسياحة حركات الأشخاص الخاضعة لدوافع ثقافية بالأساس مثل الرحلات الاستكشافية والجولات الفنية والأسفار الثقافية، أو التنقلات لحضور مهرجانات أو تظاهرات ثقافية. وزيارة المواقع الأثرية، والزيارات التي تهدف الى اكتشاف الطبيعة ودراسة الفولكلور أو الفن[7]أو المزارات الدينية والصناعة التقليدية، لهذا نجد أن الأوساط الجبلية المغربية تعد مواقع ذات جدب سياحي ثقافي هام.

مفهوم التثمين:

نجد أن حسب المعجم الفرنسي Larousse[8]، اعطاء شيء ما أو عدة أشياء قيمة أكبر من قيمتها الأصلية، أو بمعنى أخر الرفع من قيمتها التسويقية، وفي معجم le Robert[9] فيقصد بمفهوم التثمين التحسين من قيمة الشيء والرفع من جودته، ونجد أن التثمين لا يرتبط بعملية قياس الأشياء أو تقيمها فقط بل بزيادة شيء ما لإعطائه أهمية كبرى وتحسين صورته وتحسين قيمته الجوهرية وذلك من خلال زيادة كفاءته ومزياه وتحسين صفاته لترويجه وتسويقه بشكل جيد. ونجد أن هذا المفهوم يستعمل في العديد من المجالات منها الحقل الجغرافي الخاص بالتنمية المستدامة، إلى جانب تثمين التراث. الثقافي وتثمين الموارد الطبيعية.

لقد أصبح مفهوم التثمين شائع الاستعمال في العديد من التخصصات، ولكن يشكل حضوره في علم الاقتصاد أكثر قوة عندما يرتبط بتثمين المنتوج اللامادي مثلا وتكمن الغاية من ذلك في تسويق أكبر للمنتوج وبأقل جهد وتكلفة.

محتويات الدراسة:

المحور الأول: واقع السياحة الثقافية بالمغرب المؤهلات الثقافية

في هذا المحور سنتطرق لأهمية السياحة الثقافية بالمغرب وواقعها إلى جانب المؤهلات الثقافية لمنطقة تافراوت وأهميتها في تحقيق التنمية المستدامة.

أولا: أهمية وواقع السياسة الثقافية بالمغرب.

يعتبر قطاع الثقافة في المغرب مجالا خصبا لخلق القيمة والثروة ورافعة لتنمية الاقتصاد الاجتماعي وإحداث فرص الشغل وتعزيز التنمية البشرية. وخلق الجاذبية السياحية والتنمية المستدامة الوطنية والمحلية وذلك راجع إلى أن السياحة الثقافية هي بالأساس في خدمة الثقافة والتراث الثقافي بالمغرب باعتبار أن الثقافة والسياحة مرتبطان بشكل

كبير بوصف الثقافة اوفر منتجات وخدمات مادية ولامادية ورمزية غاية في الغنى والعراقة والتنوع وهي بذلك تشكل موارد أساسية لتطوير السياحة بالمغرب. وحسب بلاغ لوزارة السياحة والصناعة التقليدية والاقتصاد الاجتماعي ليوم 13نونبر 2023 فقد استقبل المغرب 12.3 مليون سائح، متم شهر اكتوبر 2023 مسجلا نموا ملحوظا بنسبة 39 في المئة بالمقارنة بالفترة داتها من سنة 2022.

يعد المغرب خزان مليء بمؤهلات مهمة يكنه الاعتماد عليها من أجل النهوض بتنميته وتسريع وتيرتها. وهي مؤهلات مستمدة ف القام الأول من تاريخ الملكة العريق الأمازيغي والعربي وموقعها الجغرافي وانتمائها الإفريقي المتجذر، فضل عن انتمائها إلى مجموعات حضارية كبرى. ومن المؤهلات الهامة التي يحبل بها المغرب أيضا، ثراء رأسماله الثقافي والطبيعي والبشري وغير، لاسيما السمعة التي يتمتع بها وإشعاعه الدولي، بالإضافة إلى قدرته على القيام بإصلاحات كبرى واتسامه بميزة النقد الذاتي[10].

ونجد أن التراث الثقافي بالمغرب أحد أهم العناصر التي لا يمكن الاستغناء عنها في مسار السياحة الثقافية والتثمين السياحي للتراث الثقافي من أجل تحقيق التنمية المستدامة، وأن هذا التراث الثقافي يشمل كل الانتاجات المادية واللامادية التي تتوارثها الأجيال أبا عن جد، بشكل يعكس الهوية الثقافية وطرق التفكير[11] ويحفظ الذاكرة الوطنية ويعززها، كما يتلخص التراث الثقافي حسب منظمة اليونسكو في كونه" تلك الخبرة والمهارات والأدوات التي لها علاقة بالمجتمع والجماعات[12]" ونجد أن منطقة تافراوت تتميز بتراث ثقافي متنوع يعكس التنوع الثقافي المغربي الامازيغي الاصيل مما يؤهله ليكون أحد الروافد الأساسية للتنمية في المنطقة إن استغل واستثمر بطرق عقلانية.

في هذا الإطار نجد أن الدولة سعت لتنمية القطاع الثقافي وجعله محورا أساسيا للتنمية المستدامة والسياحة الثقافية بالمغرب، لهذا نجد أنه يقوم عدة متدخلين، كالقطاعات الوزارية والجماعات الترابية وبعض المؤسسات العمومية، برصد وسائل مهمة للعمل الثقافي. فخلال الفترة الممتدة من 2016 إلى 2020 بلغت الاعتمادات المخصصة من الميزانية العامة لقطاع الثقافة حوالي 4,75 مليار د رهم، من بينها 2,68 مليار درهم همت مجال الاستثمار (56%). كما بلغت مبالغ الدعم المخصص للمشاريع الفنية والثقافية ما مجموعه 245,80 مليون درهم، تم رصدها من "الصندوق الوطني للعمل الثقافي"، خلال نفس الفترة [13]، مما بين أهمية التراث الثقافي المغربي وضرورة الاستثمار فيه. والسياحة الثقافية التي تعد مساهما أساسيا في التنمية الاقتصادية وكذلك المساهمة الهامة في خدمة البيئة والتنمية المستدامة، إلى جانب دورها الهام في خدمة الحوار الثقافي والحضاري.

ثانيا: المؤهلات الثقافية لتافراوت

1– التراث الثقافي المادي الغنى والتنوع وافاق جاذبية السياحة الثقافية

تقع بلدة تافروات على بعد حوالي 100 كلم شرق مدينة تزنيت، ويعد موقعها الجغرافي غاية في الفرادة والتميز فريدا قلب سلسلة جبال الأطلس الصغير. وبحكم التواجد الكبير لعدد من القرى والدواوير حولها، التي تحيط

بها من كل الجوانب، فهي تستهوي الزائر والسياح لما توفره من فرص لزيارة هذه القرى المجاورة لها، الغنية بالمعالم التاريخية والدينية كالزوايا والقصبة، والبيوت التقليدية، والنقوش الصخرية القديمة، والهندسة المعمارية الأمازيغية، ونظم الري القديمة، والمواقع الإيكولوجيا والمواقع الاثرية لما قبل التاريخ[14] وغيرها عناصر التراث الثقافي، فضلا عن اكتشاف مختلف التقاليد الأصيلة للساكنة المحلية وحسن الضيافة والاستقبال. وتتميز منطقة تافراوت بالهوية الأمازيغية الأصيلة، ومن أهم معالم التراث الثقافي المادي والطبيعي التي تعد رافعة للسياحة بالمنطقة أشجار الأركان، والصخور الملونة باومركت وكذلك نجد صخرة نابليون بدوار أكرض أوضاض، استنادا إلى نابليون بونابارت، إلى جانب تواجد واحة صحراوية بين أشجار الزيتون والنخيل المجاورة لحقول الشعير وأشجار الأركان واللوز والخروب وشجرة الزيتون منها واحة أيت منصور، إضافة إلى التنوع العمراني للمدينة الذي تملأه القصبات المشيدة بالطين أو "اللوح الأمازيغية" والتي لا تزال صامدة. مثل قصبة تيزركان التي تتميز بالفرادة والأصالة الأمازيغية. اضافة إلى العديد من مخازن الحبوب اكودار والتنوع في الصناعة التقليدية واللباس التقليدي حيث نجد ان اغلب الرجال لا يزالون يحافظون عليه وهو لباس "الفوقية" أو "تادراعت" والنساء يرتدين لباس تقليدي يسمى "تاملحافت". بالإضافة إلى أن منطقة تافروات تعد منطقة نبوغ العديد من المفكرين في شتى المجالات مما يؤهلها أن تكون منطقة صناعة ثقافية بامتياز.

الصخور الملونة والطبيعة خلابة المنظر وفرص الاستقطاب السياحي

يتوافد العديد من السياح القادمون من مختلف مناطق المغرب والعالم إلى تافراوت لمشاهدة الصخور العملاقة الملونة على جانب الطريق بمنطقة "أومركت"، والتي تقول الروايات الشفوية إنها كانت المكان المفضل للفنان والرسام البلجيكي جون فيرام، الذي فضل عام 1984 أن يصبغ تلك الصخور العملاقة بألوان زادت المنطقة جمالية، وبادر إلى تلوين هذه الصخور هدية لشريكة حياته، وهي تعد من اهم الوجهات السياحية ا بالمنطقة لتي تستقطب الآلاف من السياح سنويا لاسيما من فرنسا وإيطاليا، ومن بينهم المولعون بالسياحة الجبلية والباحثون عن الهدوء الطبيعي الذين ظلوا يزورونها سنويا. مما يشكل مجالا للتفكير بضرورة الاستثمار الأمثل لهذا التراث الثقافي المادي بالمنطقة وتثمينه.

صورة ماخودة من موقع هسبريس

قصبة تازكة عراقة المعمار الامازيغي

تعد قصبة تازكة (توغنج) بتافراوت بإقليم تيزنيت (الأطلس الصغير) من اهم معالم التراث الثقافي اللامادي والتي تستقطب عدد كبير من السياح على مدار السنة.

واعلنت وزارة الثقافة والاتصال –قطاع الثقافة– انه تم تقييد هذه القصبة ضمن لائحة التراث الثقافي الوطني، نظرا لطابعها المعماري المحلي الأصيل المتميز بالاندماج الكلي لمواد تشييدها مع المحيط البيئي المتكون من الكتل الصخرية الطبيعية المهيمنة على المنظر العام بهذه المنطقة. وذلك من أجل توسيع الحماية القانونية، بالإضافة إلى المواقع الأركيولوجية والصروح المعمارية التاريخية والمباني التاريخية المحلية المعروفة على نطاق واسع، المعمار الجهوي وأماكن الذاكرة المحلية.[15]

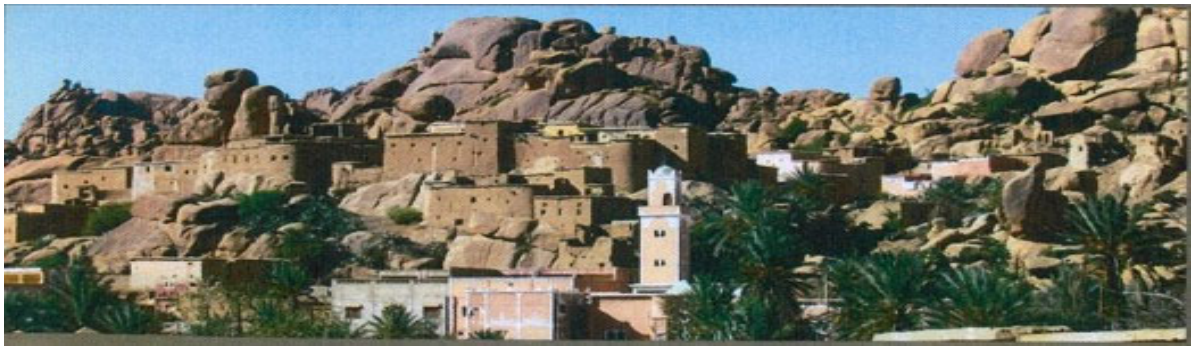

صورة مأخوذة من الموقع الرسمي لوزارة الثقافة والاتصال

2-الصناعة التقليدية الغنى والتنوع

يعتبر قطاع الصناعة التقليدية قوة حيوية هامة خاصة في ترابط الانماء الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ونجد أن منطقة تافراوت ترتبط مختلف المهن الحرفية خاصة الأحدية التقليدية والنحاس والحلي والسلع الجلدية والألبسة التقليدية الأمازيغية العريقة ومهن أخرى تدخل في مجال الصناعة التقليدية.

أ – التراث الثقافي رافعا أساسيا للسياحة الثقافية والتنمية المستدامة

_مهرجان اللوز تفراوت رهان قوي للتنمية المستدامة

تحتفي عاصمة وجوهرة الأطلس الصغير تفراوت كل سنة في الاسبوع الثاني من شهر مارس من كل سنة، بمهرجان اللوز ويعد متنفسا للساكنة المحلية ويهدف إلى المساهمة في تثمين موروث الأطلس الصغير وتحسين الظروف السوسيو-اقتصادية للساكنة المحلية من خلال ترسيخ مبادئ الاقتصاد الاجتماعي والتضامني. كما يهدف المهرجان إلى تثمين سلسلة اللوز الذي يعتبر المنتوج الرئيسي والمرمز للمنطقة بالإضافة الى معرض للمنتوجات المحلية والصناعة التقليدية إلى جانب فقرات من الموسيقى من الفنون الشعبية الامازيغية والصحراوية الاصيلة مثل أحواش واحيدوس وفن الكدرة من الطرب الحساني إلى جانب فن التبوريدة مما يساهم في تثمين واستدامة التراث الثقافي المحلي واشعاع المنطقة على المستوى العالمي.

ويساهم مهرجان اللوز بتفراوت، في إعطاء الحيوية ونفس جديد للاقتصاد التضامني الاجتماعي، لأنه يعد قاطرة للتنمية بالمنطقة، حيث يعد فرصة لمختلف التعاونيات والجمعيات الحرفية، لتسويق منتوجاتها المجالية، فضلا عن تبادل الخبرات والافكار والتجارب، مع مثيلتها في مختلف مناطق المملكة، وكذا الاستفادة من ورشات المواكبة والارشاد التي ينظمها الشركاء المؤسساتيين، في أفق تحسين المردودية، والرفع من الجودة والتنافسية، وتثمين المنتوجات المحلية [16]مما يساهم في تطوير السياحة الثقافية تنمية الاقتصاد المحلي.

صورة ماخودة من الدورة العاشرة لمهرجان اللوز بتفراوت سنة 2023، المصدر جمعية اللوز تفراوت.

موسم سيدي عبد الجبار موروث ثقافي وتاريخي

ينظم مرة كل سنة ويعد واحدا من أهم التظاهرات الدينية والثقافية على الصعيد الوطني. وهو ينظم منذ مئات السنين بأملن من طرف قبائل املن وتفراوت والنواحي احتفاء بالولي الصالح واستحضارا لدوره في تثبيت الشريعة الإسلامية السمحاء المحمدية في المنطقة، وإلى إشاعة الدور الذي لعبته الزاوية في تكريس القيم الروحية إلى جانب حرصها على إحياء شعائر دينية في كل المناسبات، وإضفاء روح العمل والعبادة والدعوة إلى هذا المنهج الروحي الذي يدعو إلى السلم والسلام، كما يعد مناسبة لحفدة الولي الصالح عبر ربوع المملكة لصلة الرحم والتلاقي، وتلاوة القرآن الكريم، فضلا عن إحياء ليلة للذكر.

مهرجان تفاوين للفنون القروية الغنى والتنوع للتراث الثقافي المحلي والوطني

وينظم مرة في كل سنة ونظرا لعدة ظروف اهمها زلزال الحوز فقد نظم هذه السنة في اواخر شهر اكتوبر الماضي ويهد المنضمون منخلال فعاليات هذا المهرجان الى حسن الاستثمار في المؤهلات الطبيعية لمنطقة تفراوت والمساهمة في الاستقطاب والتسويق الترابي بشكل يجعل من تفراوت منطقة جذب سياحي فوطنيا ودوليا، ويساهم في تثمين المورث الثقافي للمنطقة.

ب–الصناعة التقليدية رافعة للتنمية المستدامة

تعد الصناعة التقليدية بمنطقة تافراوت من أهم روافد التنمية المحلية والتي توفر فرص شغل عديدة لأبناء المنطقة وتشتهر المنطقة بالصناعة الجلدية والنحاس الى جانب الملابس التقليدية ذات الطابع الامازيغي الأصيل ومن أهم الصناعات التقليدية نجد الصناعة الجلدية وهي صناعة البلغة أو ما يعرف ب"إدوكان" والتي تعتبر من أهم الصناعة التقليدية التي تزخر بها منطقة سوس عامة وتافراوت كذلك.

وفي هذا الصدد لا يمكن نسيان ''إدوكان'' (البلغة). وهي من أهم الصناعات التقليدية انتشارا بالتحديد في قبيلتين ''تافراوت المولود'' وانزي'''' (إقليم تيزنيت)، أضيف إلى هاتين القبيلتين قبيلة ''إدوسملال''. أهم الأشياء التي لها علاقة وطيدة بصناعة ''إدوكان''، نجد ان هناك نوعين من ''إدوكان'' من حيث طريقة الصناعة، إذ نجد أن هناك من يعمل في هذا المجال باستعمال الآلات الخياطة وهناك من يعمل بطريقة تقليدية، أي بالعمل اليدوي. وهذا الأخير هو الذي يحظى بإقبال كبير. وهذا راجع بالأساس إلى جودته المتميزة، عكس المنتوجات المصنوعة عن طريق الآلات الخياطة[17].

المحور الثاني: تحديات السياحة الثقافية بالمناطق القروية.

يعد وباء كورونا وما خلفه من أثار وخيمة على التراث الثقافي و السياحة الثقافية بالمغرب عامة وتافراوت بالتحديد كان من اهم التحديات لأنه أدى إلى توقيف جميع الأنشطة السياحية والاحتفالات والمهرجات والأعراس مما كان له أثر كبير على التنمية المستدامة والاقتصادية، إلى جانب توالي سنوات الجفاف وشح الموارد، وقلة فرص الشغل بالمنطقة هذا التأزم السيوسيو اقتصادي يؤدي هجرة أبناء العديد من المنطقة بحثا عن مصدر للرزق ونجد أنه بسبب هذه الظروف فقد بدأ التخلي تدريجيا عن الفلاحة المعيشية واعتماد فلاحة أكثر ارتباطا بالسوق خصوصا قطاع النخيل والاركان والذي يعد تراث ماديا بامتياز وذلك نتيجة الاهتمام بالسياحة التي تعد قطاعا حسب أراء السكان قادر على مواجهة اكراهات التنمية المحلية المنشودة في تكامل مع القطاع الفلاحي والسياحة الثقافية للتراث الثقافي. ورغم وجود هذا الرأسمال الثقافي المهم والبالغ الغنى والتنوع، غير أنه لا يستفيد من عمليات التثمين المناسبة بما فيه الكفاية نظرا لعدة تحديات وعراقيل نذكر منها:

- تداعيات فيروس كورونا على القطاع السياحي وتعطيل جميع الأنشطة الثقافية رغم التعافي التدريجي من مخلفاتها.
- غياب مسح وجرد وطني شامل للمواقع التراثية، وعدم وجود دليل للآثار التاريخية، الى جانب غياب أية خطة لجمع التقاليد الشفاهية[18]،
- توالي سنوات الجفاف على واحة ايت منصور والمنطقة ككل مما أدى إلى ارتفاع الهجرة القروية،
- تدهور واتلاف العديد من الممتلكات الثقافية وتعرض القصور والقصبات للتهميش والهدم والتخريب بفعل عوامل التعرية والتصحر الأمطار وعوامل أخرى مرتبطة بالإنسان،

- تعرض مكونات التراث الثقافي للتلف والتدهور بسبب غياب أو نقص الحماية من قصور وقصبات ومواقع اثرية وواحات،
- تعرض بعض مكونات التراث اللامادي للنسيان كما هو حال الحكايات الشعبية والأمثال والألغاز،
- عدم وجود بنيات تهتم بالصناعة الثقافية والتنمية كالمقاولات الثقافية، إلى جانب قلة المتاحف التي تحافظ على التراث الثقافي. وبعبارة أخرى غياب بنيات ومؤسسات تنقل الثقافات المحلية إلى الأجيال الصاعدة وتساهم في التنمية المستدامة للتراث الثقافي المحلي والوطني،
- قلة الموارد المستدامة، واقتصار التظاهرات واللقاءات المناسباتية، بدل توفر شروط ضمان الأنشطة الثقافية طوال السنة. الى جانب غياب المقاربة التشاركية في تدبير التراث الثقافي والسياسات العمومية في هذا المجال.
- الفراغ القانوني في بعض الحالات، أو عدم احترام التشريعات الموجودة، مما يجعل من رواد الأعمال والمروجين للأعمال المهتمة بالتراث في كثير من الأحيان هم المنفذون لأعمال التدمير[19] والتخريب والإساءة في أحيان أخرى لهذا التراث،

إضافة إلى إشكالية التمويل التي تعاني منه عدد من المقاولات التي تستمر في التراث الثقافي المادي واللامادي والتي تجد صعوبة في الولوج إلى الدعم أو القروض وهي تهم أكثر المقاولات المبدعة في مراحل معينة من التطور، ومثله ما يطرحه التمويل البنكي من صعوبات أمام المقاولات سيما الثقافية منها.[20]

المحور الثالث: افاق تطوير السياحة الثقافية.

تعد عناصر التراث القافي من أهم مداخيل المداخيل لتحقيق التنمية الاقتصادية والمستدامة المحلية والوطنية وخاصة في ضل الظرفية الراهنة التي تشهد تقلبات عديدة على كافة المستويات، مما يفرض على كل المجتمعات تعبئة كل طاقتها الذاتية. وذلك عبر استغلال تراثها المادي واللامادي من أجل صيانة هويتها وتامين حاجيتها الحالية[21] وضمان سبل العيش الكريم للأجيال اللاحقة وتحقيق سياحة ثقافية تساهم في التنمية الاقتصادية والمستدامة.

فنجد أن التراث الثقافي يعد مساهما أساسيا في تطوير الاقتصاد الاجتماعي والتضامني وتحقيق تنمية مستدامة، ويزيد من المردودية والانتاجية المحلية من خلال مختلف التعاونيات المحلية للصناعة التقليدية والمقاولات السياحية إن هو روعي كعامل أساسي في صنع الاستراتيجيات والبرامج والمخططات والسياسات العمومية والقطاعية.

ومن خلال تقرير صندوق النقد الدولي بعنوان المغرب في أفق ألفين وأربعين الذي أكد على أن المغرب يجب عليه الاستثمار في التراث الثقافي اللامادي من اجل تسريع وتيرة الاقلاع الاقتصادي الذي يأتي من خلال تبني مقاربات جديدة تأخذ بعين الاعتبار تعبئة موارد التراث الثقافي بمختلف اشكاله واستغلالها بشكل امثل من خلال الاعتماد على مقاربة اقطاب اقتصاد التراث وذلك من خلال توظيف التراق الثقافي المحلي للمنطقة في مختلف الأنشطة الاقتصادية عبر انجاز مشاريع مندمجة ومتناغمة مع الهوية والتقاليد والخصوصيات المحلية وتطلعات الساكنة

المحلية، إلى جانب العمل على جعل التراث الثقافي المحلي عنصر جذب للمستثمرين وحاملي المشاريع [22]مما يؤدي الى تنمية ترابية محلية مستدامة.

ونشير إلى أنه من أجل مواصلة الاستثمار الأمثل للتراث الثقافي المحلي لمواصلة تحقيق أهداف السياحة الثقافية المحلية والوطنية وجب صيانة وتوثيق التراث الثقافي المحلي والعمل على تسجيله في قائمة التراث الوطني والعالمي والمحافظة عليه، الى جانب تعبئة موارد التراث الثقافي في انشطة ثقافية واقتصادية واجتماعية لأنها تعد من أهم مداخيل توفير مناصب الشغل المباشرة وغير المباشرة للساكنة المحلية من خلال مختلف التعاونيات للصناعة التقليدية والمنتجات الفلاحية إلى جانب الفنادق السياحية.

من هنا نجد أن رصد مفعول التراث الثقافي على الحياة العامة أدى بالعديد من سابري أغوار قضايا التنمية بكل تفاصيلها على الابداء الرأي بكل موضوعية من اجل الاستثمار الامثل في الاقتصاد الثقافي وتجاوز التحديات الراهنة يجب العمل على مجموعة من النقاط منها ما يلي:

- توظيف مسالة اقتصادات الثقافة بمدخلاتها المتنوعة والمتعددة في السياسات العمومية والقطاعية كحل مفصلي لمشكلات التنمية، ومنه بناء جديد قد يخرجنا من مغاليق هشاشة الأدوار والحس الفرداني والقرار الأحادي في التنمية الثقافية والاجتماعية.
- التعدد والتنوع الثقافي يعد رافعا للتنمية.
- الاستثمار في التراث الثقافي والصناعة الثقافية من أهم القوة الناعمة للدول في مسار التقدم والتطور الاقتصادي.
- العمل على صياغة إطار قانوني يسعى لحماية التراث الثقافي بالمنطقة والمغرب عموما، وذلك بإعداد وإخراج قانون الواحة والمناطق الجبلية، يكون مرجعا لحماية هذا التراث وتطويره واستدامته،
- تبني سياسة اعلامية تهتم بالتراث الثقافي المحلي من أجل البحث على سبل ناجعة تسعى لإدماج التراث في إطار مقاربة وحكامة تنموية مستدامة تراعي حقوق الأجيال القادمة في الاستفادة من موروثهم الثقافي وتدعيم ذلك بالاهتمام الكافي بالمناهج التربوية وجعل التراث الثقافي في صلب اهتمامها،
- تأسيس متاحف لحفظ التحف القدمية اليت تتيح للزوار والباحثين إمكانية التعرف عن حياة الأجداد في مجيع المجالات .
- إصدار أبحاث ودراسات حول ميادين التراث الثقافي المغربي بمختلف اللغات.
- مساهمة الجامعة في حفظ وتدوين التراث من خلال البحوث والرسائل وأطروحات الدكتوراة،
- ترميم القصور والقصبات والحفاظ على رونقها وخصوصياتها المحلية بمواد محلية الصنع وصديقة للبيئة،
- العمل على إيجاد حلول وبدائل لإنقاذ الواحات من الحرائق المتكررة، والحد من التلوث والهجرة القروية.

ومن المؤكد أن عناصر التراث المادي واللامادي. تتدخل فيه وزارات وقطاعات مختلفة منها وزارة الثقافة، ووزارة الداخلية والصناعة التقليدية، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وزارة السياحية وزارة السكنى،[23] إلى جانب وزارة الفلاحة... وتتكلف أيضا وكالات متعددة في تدبير مواقع التراث وأشطته المختلفة بالمغرب. إلى جانب جمعيات المجتمع المدني. لهذا وجب تبني مقاربة تشاركية تنبني على روح المسؤولية لخدمة الأهداف الأساسية في جعل السياسة الثقافية رافعة للتنمية المحلية.

ويمكن اجمال السياحة الثقافية بمنطقة تافروات من خلال الدوافع الأساسية التي تجعلها وجهة هامة للسياحة الثقافية بالمغرب وهي: الاستجمام والترفيه وزيارة المعالم الأثرية والمتاحف والتراث الثقافي الطبيعي، وزيارة أماكن الصناعة التقليدية، وسياحة المغامرات والسياحة البيئية والواحية وحسن الاستقبال[24] والضيافة. السياحة الدينية والعلمية.

خاتمة:

وختاما نجد أن المقاربة الثقافية للتراث الثقافي تعد مدخلا لتحقيق التنمية المستدامة من خلال السياحة الثقافية، لان التراث الثقافي المغربي تمتد جذوره إلى آلاف السنين وتعد منطقة تافراوت مكانا للتعايش والتسامح والتعدد اللغوي والاثني، ويشكل ماضيها رأسمالا رمزيا ينبغي الافتخار به، ويمكن أن يتحول إلى مشروع تنموي مستدام، وهذا تبين بجلاء من خلال دراسة بعض أشكال التراث الثقافي التي تعد تراثا ثقافيا مغربيا ذو جذور امازيغية عريقة، ومن خلال الغوص كيفية المحافظة عليه وعلى هويته الثقافية ومساهمته الهامة في التنمية الاقتصادية للمنطقة.

ومنه نجد أن التراث الثقافي للمنطقة كباقي مناطق المغرب يساهم بدور فعال في تنمية المنطقة من خلال ارتباطه بالسياحية الثقافية من أجل المساهمة في التنمية الشاملة للمنطقة.

ومن خلال هذه الدراسة يمكن أن نخلص إلى مجموعة من الاقتراحات والاستنتاجات نذكر منها:

- ✓ اعتماد المواد المحلية الصنع الصديقة للبيئة في البناء وإعادة تأهيل القصور والقصبات بواحات المنطقة بهدف المحافظة على البيئة والتنمية المستدامة والتنوع البيولوجي للمنطقة
- ✓ تطوير الطرق والآليات المعتمدة في البناء، وإحياء وتثمين الرصيد المعرفي والتقني للبناء والمعمار التقليدي بالواحات والمدن، ونقل التجارب والخبرات للأجيال الحالية والمستقبلية،
- ✓ الاستثمار في التراث المادي واللامادي استثمار من أجل الوصول إلى التنمية المستدامة،
- ✓ توظيف ما يعرف باقتصاديات الثقافة أو الصناعة الثقافية بمختلف مجالاتها المتنوعة والمتعددة في السياسات العمومية لحل مشكلات التنمية من خلال الاستغلال الأمثل للتراث الثقافي،
- ✓ بمأن التراث الثقافي يساهم في تطوير الاقتصاد الاجتماعي التضامني وتحقيق تنمية مستدامة محلية ووطنية ويزيد من المردودية والإنتاجية المحلية، فيجب تفعيل الاستراتيجيات والمخططات والسياسات العمومية المهتمة به وتعميم التغطية الصحية لجميع الحرفيين.
- ✓ تشجيع وهيكلة التعاونيات المحلية التي تشتغل في الحرف التقليدية لضمان استمرارية المنتوجات المحلية ذات الرموز الثقافية والأبعاد التراثية المحلية والوطنية،
- ✓ إحداث برنامج تعليمي يسعى إلى الاعتراف بقيمة التراث، وتطوير أسس قانونية لخلق شروط مثالية للأطفال والناشئة لتعلم التراث والحفاظ عليه وتطويره، وكذلك التربية على الفن والجماليات،
- ✓ التشجيع على البحث في التراث الثقافي وضرورة الحفاظ على هذا الإرث المشترك وصونه من الاندثار من خلال توثيقه وتشجيع الدارسين على الاشتغال عليه علميا وأكاديميا، باعتباره يشكل ذاكرة جماعية وجمعية للمنطقة.

الهوامش:

[11] - PROTECT MASTERPIECES OF THE ORAL AND INTANGIBLE HERITAGE OF HUMANITY.
unsco prees

[2] – الخطاب الملكي ليوم 30 يوليوز 2014 بمناسبة عيد العرش المجيد.

[3] –سمير ابراهيم حسن: الثقافة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، سنة2007، ص:35.

[4] – مرسي أحمد: الأدب الشعبي وثقافة المجتمع، دار مصر، المحروسة، الطبعة الأولى، 2008، ص: 29.

[5] – أحمد شراك: سوسيولوجيا التراكم الثقافي، منشورات المركز الوطني للإبداع المسرحي، الطبعة الأولى 2005.ص:72.

[6] –أحمد الجلاد، دراسات في جغرافية السياحة، عالم الكتاب، طبعة أولى، القاهرة، 1998، ص: 93.

[7] –محمد بهضوض: السياحة الثقافية في العالم العربي مجلة باحثون المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والانسانية مطبعة وراقة بلال فاس عدد مزدوج العدد 16 ص: 50

[8] –https://www. larousse.fr/dictionnaires/francais /valorisation/81001.

[9] –https://dictionnaire.lerobert.com/definition/valorisation.

[10] –مساهمة المجلس الاقتصادي والاجتماعي في النموذج التنموي الجديد تقرير 2019.ص:18.

[11] –خور رشيد فاروق: الموروث الشعبي، دار الشروق لبنان، الطبعة الاولى 1992، ص:12

[12] – عوض لويس: ثقافتنا في مفترق الطرق، دار الآداب بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1983.ص:57.

[13] – التقرير السنوي للمجلس الأعلى للحسابات برسم سنة 2021.ص:256.

[14] – اعداد التصميم الجهوي للتراب لجهة سوس ماسة التقارير الموضوعاتية والقطاعية الوكالة الجهوية لتنفيذ المشاريع لسوس ماسة، ص: 411.

[15] – تقييد قصبة تازكة (توغنج) بتافراوت ضمن لائحة التراث الثقافي الوطني بتاريخ 19 مارس 2019، الموقع الالكتروني https://mjcc.gov.ma/ وقت الزيارة 2023/11/10 على الساعة 16.

[16] – سعيد مكراز: مهرجان "اللوز" يعود إلى تافراوت في دورته العاشرة، مقال منشور بالموقع الالكتروني: www .2M .ma وقت الاطلاع على الموقع 2023/2/11/10 على الساعة: 10 صباحا.

[17] – مقال بعنوان: صناعة البلغة الموقع الرسمي لغرفة الصناعة التقليدية لسوس ماسة:https://casm.ma //

[18] –Amina Touzani: La Culture et La Politique Culturelle Au Maroc,Editions la croisée des chemins.2003.Imprimerie el maarif al jadida.P :263.

[19] – Amina Touzani: La Culture et La Politique Culturelle Au Maroc, Editions la croisée des chemins. 2003.Imprimerie el maarif al jadida.P :263

[20] – محمد بهضوض: التنمية الثقافية الصناعات الثقافية والابداعية في المغرب، سلسلة أبحاث، منشورات وزارة الثقافة، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى، 2015، ص: 191، 192.

[21] – عبد الرحمان الدكاري: التراث المعماري بالمغرب، الذاكرة المجالية ومظاهر التثمين، مجلة ابحاث ودراسات التنمية، منشورات مختبر الدراسات والبحوث الريفية، جامعة محمد البشير الإبراهيمي الجزائر، العدد الاول. 2014، ص:39.

[22] –بوشتى الخزان، هشام اتبر: اقتصاد التراث ومطلب التنمية الترابية بإقليم وزان، حالة الجماعاتان الترابينات ابريكشة واسجن، تنسيق محمد كمال المريني وخالد بقالي واسام كناش، المجلات الترابية مقاربات ونماذج منشورات شبكة تنمية القراءة بصفرو والمركز الوطني للدراسات والابحاث الجغرافية والتنمية مطبعة وراقة بلال، سنة 2020.ص: 274.

[23] – محمد بهضوض: المغرب الثقافي، نحو مشروع وطني للثقافة، منشورات وزارة الثقافة، الرباط 2014، ص: 137.

[24] – الشركة المغربية للهندسة: برنامج التنمية المندمجة للسياحة الثقافية، الرباط 2015، وهذه الدراسة أكدا على أن 8 مليون سائح من بين 10 مليون يأتون للمغرب من أجل المزارات الثقافية.